﴿يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ١٢٠﴾ [النّساء: 120]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لمَّا ذكر القرآن دعاوى الشَّيطان في الإغواء، وبيَّن فظاعة ما يفعله الشَّيطان في إضلال النَّاس عن عبادة اللّه وحده، وبيَّن إصرار الشَّيطان على أن يأخذ نصيبه منهم، وبيَّن لهم الخسران المبين الَّذي سيصيب منِ اتَّبع أهواءه، وانقاد إلى وساوس الشَّيطان، نبَّه هنا على أنَّ أساليب الشَّيطان هي الوعود والأمانيّ فحسب، وأنَّ وعوده غرور وأكاذيب، كأن يخوِّفهم بالفقر حتَّى لا يصلوا رحمًا، ولا ينفقوا في خير.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَعِدُهُمۡ﴾: جذر الكلمة هو: (وعد)؛ الوَعد والعِدَة يكونان مصدرًا واسمًا. والموعِد: موضع التَّواعدِ، وهو الميعاد. والمَوعِد مصدر وَعَدته، وقد يكون الموعِد وقتًا للعِدَة[1]، والوعد يستعمل في الخير والشَّرِّ[2]، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ﴾ [إبراهيم: 22]، وقوله: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ﴾ [البقرة: 268]، فإذا أسقطوا الخير والشَّرَّ قالوا في الخير: الوعد والعِدَة، وفي الشَّرِّ: الإيعاد والوَعيد[3].

2) ﴿غُرُورًا﴾: جذر الكلمة هو: (غَرَر)؛ وغرَّة المال: الجمال والخيل والعبيد، أي: خياره، وعيش غرير، كما يقال: عيش أبله، وأقبل السَّيل بغرَّاته، وهي نفَّاخاته[4]، يقال: غررت فلانًا: أصبت غِرَّته، ونِلت منه ما أريده، والغِرَّة: غفلةٌ في اليقظة، والغِرار: غفلةٌ مع غفوة، وأصل ذلك منَ الغرِّ؛ وهو الأثر الظَّاهر منَ الشَّيء، وغَرّ الثَّوب أثر كسره، وقيل: اطوه على غَرِّه، وغَرَّه كذا غرورًا: كأنَّما طواه على غَرِّه[5]، قال: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦﴾ [الانفطار: 6]، وقوله: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١٩٦﴾ [آل عمران: 196]، وقوله: ﴿يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ﴾ [الأنعام: 112].

(1) الخليل، العين: (وعد).
(2) الرّاغب، المفردات: (وعد).
(3) ابن دريد، جمهرة اللّغة، الجوهريّ، الصّحاح: (وعد).
(4) الزّمخشريّ، أساس البلاغة: (غرر).
(5) الرّاغب، المفردات: (غرر).

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

بيَّن الله في هذه الآية إغراءَ الشَّيطان لأوليائه بوعوده الباطلة، بأن يكون لهم نصيرًا ممَّن أرادهم بسوء، ويعدهم بأنَّهم إذا أنفقوا في سبيل الله؛ افتقروا، قال تعالى: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ﴾ [البقرة: 268]، ولم يقف عند ذلك، بل يفتح لهم الآمال الكاذبة والأمانيَّ الباطلة بالظَّفر على أعدائهم، والفوز في الآخرة، وكلّ ذلك وهم وباطل لا حقيقة له.

❁ الإِيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالة الاستعارة في قوله: ﴿يَعِدُهُمۡ﴾:

تأثير الوعد بالباطل في النّفوس الضَّعيفة

اختيار الفعل ﴿يَعِدُهُمۡ﴾ يحمل أهمَّ أساليب الشَّيطان الخبيثة في التَّأثير في النّفوس الضَّعيفة، والأفئدة الصَّاغية إليه، وهذا واضح في إيحاءات الفعل ﴿يَعِدُهُمۡ﴾، فمعناه: أن يخيَّل إليهم ما يصل إلى قلوبهم بالوسوسة في شيءٍ منَ الأباطيل، ويكون ذلك في التَّأثير بالنَّفس بما يؤدِّي إلى الإحساس بأنَّ ذلك الأمر قريب المنال، فيكون ذلك كالوعد، وهو استعارة تصريحيَّة؛ أنَّه قريب الحصول، وأنَّه لا درك في تحصيله، وأنَّه إن لم يحصل كان في فواته ضرر، فيسعون في تحصيله، فيضيع عليهم في ذلك الزَّمان، ويرتكبون فيه ما لا يحلّ منَ الأهوال والهوان، ﴿وَيُمَنِّيهِمۡۖ﴾، أي: يزيِّن لهم تعليق الآمال بما لا يتأتَّى حصوله[1]، ثمَّ بيَّن ذلك بقوله: ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾، فتمَّم المعنى بما يناسب المشبَّه، فتكون الاستعارة تصريحيَّة مجرَّدة، وفائدتها: ردّ الفكر الَّذي أصابه التَّصديق بالوعد إلى حقيقة التَّخييل الَّذي نهجه الشَّيطان في وعوده وإغوائه.

عدم عطف هذه الجملة على ما سبق:

كثرة وعود الشَّيطان لأتباعه

جاء قوله: ﴿يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡۖ﴾ استئنافًا لبيان أنَّه أنجز عزمه، فوعد ومنَّى، وهو لا يزال يَعِد ويمنِّي، فلذلك جيء بالمضارع، وإنَّما

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 5/407.

لم يذكر أنَّه يأمرهم فيبتِّكون آذان الأنعام، ويغيِّرون خلق الله؛ لظهور وقوعه لكلِّ أحد[1].

ويمكن أن يكون معنى (يأمرهم) كثرة وعوده لهم فيشوِّقهم لتحقّقها لهم، فيستجيبون، فيكون وعدهم له كالأمر لاشتراكهما في ضمان تحقّق الطلب، فتكون على سبيل الاستعارة.

دلالة الفعل المضارع:

استمرار متابعة الشَّيطان لأوليائه

عبَّر بالفعل المضارع ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ﴾؛ لإفادة التَّجدّد والاستمرار في متابعة الشَّيطان لأوليائه حتَّى يظلّوا في ولايته، ولا يخرجوا من حزبه.

دلالة التَّعبير بالأمانيِّ بعد الوعد في: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ﴾:

الأماني طعم الشَّيطان للانغماس في الشَّهوات

جاء التَّعبير بالأمانيِّ بعد الوعد؛ لأنَّه العمدة عند الشَّيطان، وذلك بإلقاء الأمانيِّ في القلب، وبها يصل إلى الغرور؛ لأنَّ فتح باب الأمانيِّ يوقع الإنسان في الحرص وطول الأمل؛ فبذلك ينال منَ الدّنيا وأهلها، وينغمس في شهواتها.

فضح الله أساليبَ الشَّيطان

لَمَّا كان الوعد والتَّمنِّي من أمور الباطن أخبر الله عنه بها؛ فبيَّن أنَّ ما يعدهم به منَ الأمور الباطلة والزَّخارف الكاذبة ما هو إلَّا من باب الغرور.

دلالة طباق السَّلب في ﴿يَعِدُهُمْ﴾ و﴿وَمَا يَعِدُهُمُ﴾:

وعود الشَّيطان مزيّفة كلّها، فلا تحتمل الصَّدق قطعًا

بين قوله تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ﴾، وقوله: ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ﴾ طباق سلب أفاد ذلك الغرور الَّذي هو يعدهم به فعلًا، فلا يعدهم حقًّا، إنَّما يعدهم تزيينًا وغرورًا، فمِثل ذلك وعود الشَّيطان، إذ جعلها كلَّها من قبيل الغرور والتَّزييف.

دلالة التَّضمين في الفعل ﴿يَعِدُهُمْ﴾:

بلاغة التَّضمين

ضمِّن الفعل ﴿يَعِدُهُمْ﴾ معنى يغرّهم، وفائدته: أنَّ وعود الشَّياطين لا حقيقة لها؛ لذلك فهي على سبيل الإغراء فحسب، ولا شيء أكثر من ذلك.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 5/206.

بلاغة الاستثناء والحصر في قوله: ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾:

وعود الشَّيطان غرور كامل

أفاد الحصر أنَّ الغرور الكامل يكون في وعوده لأتباعه، فلا يكون فيها صدقٌ؛ لأنَّ ما يراه أتباعه صدقًا سيؤول جزاؤه يوم القيامة عذابًا وسعيرًا، ثمَّ يقول لهم يوم القيامة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ﴾ [إبراهيم: 22].

دلالة الإظهار في موضع الإضمار في: ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾:

التَّنبيه على مزيد النّفرة من الشَّيطان

أظهر في موضع الإضمار تنبيهًا على مزيد النّفرة، فقال: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾؛ ولزيادة البيان والتَّذكير بأنَّ الشَّيطان لا يحقِّق لهم شيئًا ممَّا يعدهم به، إلَّا أنَّه يغريهم بزخرف منَ الحياة الدّنيا، وذكر (الشَّيطان) فيه مناسبة لذكر (الغرور)[1].

التَّعبير بـ ﴿غُرُورًا﴾، ولم يقل: (كذبًا):

تضمّنه معنى تزيين الباطل والخداع والمكر

أتى بقوله: ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾؛ لأنَّه يحمل معنى تزيين الباطل خداعًا، ومكرًا، وتلبيسًا، وإظهارًا لما لا حقيقة له، أو له حقيقة سيِّئة، فيزيِّنها له، ويغريه بها، فيجعلها في أبهى الحقائق وأشرفها، وألذِّها إلى النَّفس، وأشهاها إلى الطَّبع، فإنَّ مادَّة: (غر) و(رغ) تدور على الشَّرف، والحسن، ورفاهة العَيش[2]. فيدخل في الغرور التَّزيين، فيكون معنى الغرور: كذبًا مزيَّنًا، قال تعالى: ﴿يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ﴾ [الأنعام: 112].

بينما يصف الكذب في القرآن في صريحه، كفعل الكافرين من تكذيب المرسلين، أو تكذيب الرِّسالات، فقال تعالى: ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: 157]، قال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢١﴾ [الأنعام: 21]، فيأتي التَّكذيب ممَّن جهر بالعداوة، بينما يأتي الغرور ممَّن خبَّأ العداوة، وأعلن المودَّة والقرب.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 5/408.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 5/408.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن، سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 8 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-60-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 8 : سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-60-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8115353 بتاريخ 2023/03/22م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»